الأسرة Famille

الأسرة أهل الرجل وعشيرته، والجماعة يربطها أمر مشترك. وتطلق في الاصطلاح على عدة معان، وهي: الجماعة المؤلفة من الأقارب، وذوي الرحم، والحلف، والولاء. والجماعة المؤلفة من الأقارب، وذوي الأرحام في وقت معين. ثم الجماعة المؤلفة من الأقارب الذين يعيشون معا في بيت واحد. وأخيرا الجماعة المؤلفة من الوالدين والأولاد.[1]

تحتوي الأسرة في أساسها على ثلاثة موضوعات متداخلة هي: الرابطة التي تجمع ذكرا وأنثى برباط المعاشرة ونظم هذه الرابطة ومدى استمرارها. وهنا تظهر كافة أشكال الزواج على نحو ما أسلفنا. ثم التنظيم الداخلي للأسرة، بمعنى دور كل فرد فيها ووضعه الاجتماعي والخلقي والوظيفي. وأخيرا الأسرة ووظيفتها داخل إطار المجتمع ككل. وفيما يلي الأنماط الرئيسية للأسرة:

1) الأسرة الأحادية Monogamie .

وتسمى بأسماء عدة منها الأحادية الزواج Monogamie(= زوجة واحدة)، أو الأسرة النووية famille nucléaire (= الزوج والزوجة والأطفال)، أو الأسرة المفردة أو الصغيرة أو البيولوجية. وكذلك تسمى الأسرة الزواجية.

وترتبط الأسرة الأحادية الصرفة بنظام الزواج، ومن الصعب البت في هذا الموضوع بنسب مئوية إحصائية. ففي المجتمع الواحد يجب أن نفرق بين ما هو مسموح وبين ما هو ممارس فعلا. فالمجتمعات الإسلامية تجيز تعدد الزوجات ولكن عددا ضئيلا جدا من المسلمين يمارسون هذا الحق لأسباب اقتصادية واجتماعية

[1] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الجزء الأول، دار الكتاب اللبناني ، بيروت– لبنان، سنة 1982، ص 77.

معا. ولذلك علينا، حينما ندرس مجتمعا أن نجيب على هذه التساؤلات: هل أحادية الزواج هو النظام الوحيد؟ هل هو النظام المفضل؟ هل هناك أكثر من نظام، وما هو مدى ممارسته؟

تشتمل الأسرة الأحادية على جيلين من الآباء والأبناء، وعلى ثماني علاقات متبادلة هي:

1. **علاقة الأب مع: الزوجة، الابن، الابنة.**
2. **علاقة الأم مع: الابن، الابنة.**
3. **علاقة الأخ الأكبر مع: الأخ الأصغر، الأخوة البنات.**
4. **علاقة الأخت الكبرى مع: شقيقاتها.**

وتكون هذه العلاقة أساس نظام القرابة والبناء الاجتماعي، وتوجد بين كل فرد علاقات متبادلة اجتماعية اقتصادية عاطفية وأخلاقية. لكن العلاقة الأساسية التي تبنى عليها الأسرة في جوهرها هي العلاقة الاقتصادية، وبالرغم من حدوث التعاون الاقتصادي بين أعضاء المجتمعات البسيطة فإن الأسرة في الواقع تكون التجمع التعاوني المثالي. وإلى جانب العلاقات الاقتصادية فإن هناك مجموعة أخرى من الأسباب المرتبطة ببطء النمو البيولوجي والحضاري عند الإنسان، على عكس ما هو موجود في عالم الحياة البيولوجية الأخرى.[2]

2) الأسرة الممتدة Famille étendue.

تتكون الأسرة الممتدة من عدة أسر أحادية ترتبط معا برباط التسلسل القرابي الأموي أو الأبوي وتعيش معا في مسكن واحد. وبهذا يمكن أن نطلق عليها

---

[2] أنظر: محمد عبده محجوب: انثروبولوجيا الزواج و الاسرة و القرابة، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة–مصر، سنة 2014.

اسم «العائلة» الموحدة المسكن. وتتركب مثل هذه الأسرة من أكثر من جيلين: جيل الأجداد، وجيل الآباء، وجيل الأحفاد، وقد تزيد عن ذلك أيضا. وليس من الضروري أن تكون الخلايا الأسرية التي تكون الأسرة الممتدة أحادية الزواج، ففي مجتمعات النسب الأبوي يمكن أن تكون الخلايا أسرا متعددة الزوجات، بينما في مجتمعات النسب الأموي نجدها أحادية الزواج. ويقرر شكل هذه الخلايا نوع المسكن: عصبي virilocal رحمي uxorilocal. ففي نوع المسكن الأول يبقى الأبناء ويحضرون زوجاتهم إلى بيت الأب، بينما النوع الثاني تبقى الفتيات ويقيم معهن أزواجهن. وفي كلتا الحالتين نجد المسكن بيت كبير يتسع للأجيال المتعاقبة التي تعيش معا.

وأهم ما يميز الأسر الممتدة هو خضوعها اقتصاديا للجد أو الأخ الأكبر الذي يتصرف في كل دخل أو نشاط أفراد هذه الخلايا المتعددة. وكذلك تسيطر في النظام الأموي الجدة أو الأخت الكبرى على أشكال النشاط الاقتصادي للأسر الأحادية التي تكون أسرتها الممتدة. وسمح نظام الأسرة الممتدة بنشأة النظام الأبوي المتسلط أو السلطوي patrilocal أو الأموي المتسلط matrilocal، بحكم أن رئيس العائلة يجمع في يديه غالبية السلطات الاقتصادية، بالإضافة إلى سلطات أخرى اجتماعية وقانونية بحكم علاقات الأب أو الأخ الأكبر بالأبناء والأخوة الأصاغر.

3) الأسرة متعددة الزوجات polyginie.

يمكننا أن نميز - بادىء ذي بدء- بعض المصطلحات المتداخلة في هذا الموضوع. فمصطلح polygamie يعني نظام الزواج المتعدد (polyginie = تعدد الزوجات) و(polyandrie = تعدد الأزواج) . ونظام تعدد الزوجات أكثر أنواع الزواج

شيوعا في العالم، وبالتالي فإن الكثير من الأسر في العالم متعددة الزوجات. ويرتبط هذا النظام أساسا بالمجتمعات الأبوية النسب، ولا يظهر في المجتمعات الأموية النسب، ولا في المجتمعات الصناعية المعاصرة. وبالرغم من شيوع التعدد في مجتمعات كثيرة إلا أن تعدد الزواج الفعلي لا يحدث دائما بين كل أفراد المجتمع لأسباب اقتصادية.

ولا توجد أسباب محددة لنشأة الأسرة المتعددة الزوجات، لكن هناك مجموعة من الأسباب التي تظهر في المجتمعات المختلفة. من بين هذه الأسباب فرض محارم على العلاقات الجنسية مع الزوجة خلال الحمل وأثناء الرضاعة وأثناء فترة الحيض. ولكن يبدو أن الأسباب الاقتصادية تأتي في مقدمة الدوافع لنشأة تعدد الزوجات. فقد لوحظ كثيرا أن الأغنياء هم أكثر الناس ارتباطا بنمط الأسرة المتعددة الزوجات في معظم المجتمعات. كما لوحظ أيضا أن الأسرة المتعددة الزوجات عادة أغنى من الأسر أحادية الزوجة لأن طاقة العمل أكبر.[3]

4) الأسرة المتعددة الأزواج polyandrie.

قد يكون للزوجة أكثر من زوج، ويسمى هذا الشكل بتعدد الأزواج، وبه ينتسب الفرد إلى أمه. لكن ذلك لا يعني سيطرت الزوجة مثل ما يعنيه النظام الآخر من سيطرة الزوج على الزوجات. بل إن السيطرة هنا تقع غالبا في يد الزوج الأكبر سنا.

الأسرة متعددة الأزواج أقل ظهورا من أنواع الأسر الأخرى. وأكثر مناطق ظهورها بين زراع التبت وفي جنوب الهند، وعند الإسكيمو وبولينيزيا وبعض

---

[3] Voir : BONTE Pierre (s /d), Epouser au plus proche. Inceste, prohibitions et stratégies matrimoniales autour de la Méditerranée, Editions de L'EHESS, Paris, 1995.

المناطق من إفريقيا، كما كان سائدا عند عدد من امريند أمريكا الشمالية. وعند التودا في جنوب الهند نجد الأزواج إخوة غالبا.

ولم يعرف بعد سبب أو مجموعة من الأسباب تؤدي إلى نظام الأسرة المتعددة الأزواج، ولكن الواضح أن هناك أسبابا مختلفة في كل حالة على حدة. وربما كان الفقر الاقتصادي هو واحد من أهم الأسباب عند عدد من الجماعات.

5) أسرة زواج الزيارة.

عند الجماعات التي تمارس زواج الإقامة المزدوجة – بمعنى بقاء الزوجة في بيت أهلها والزوج في بيت أهله – يصبح الزواج زواج زيارة، أي يزور الزوج زوجته بين الحين والآخر. ومثل هذا النوع من الزواج تمارسه الجماعات الأموية النسب المتطرفة في تطبيق هذا النظام، حيث تترأس الأخت الكبرى المسكن بمن فيه من شقيقاتها وأبنائهن من الفتيات والأبناء، حتى لو كبر الأبناء وتزوجوا.

ويمكن أن يتغير هذا النمط في الأسرة بحيث يسمح للزوج الإقامة مع أهل زوجته حينما يموت شقيق الزوجة أو حينما لا يوجد رجل آخر من أقرباء الزوجة في البيت، أو حينما تموت أو تمرض الأخت الكبرى. ومن ثم تتحول هذه الأسرة إلى الأسرة رحمية المكان. كذلك يمكن للزوج أن يأخذ زوجته معه حينما يصبح هو الرجل الوحيد في عائلته وبذلك تصبح أسرة عصبية المكان. وقد لوحظ أن هذا النظام لا يرتبط بالزواج الأحادي، إنما يظهر في إطار تعدد الزوجات أو تعدد الأزواج.

شكل رقم (07)

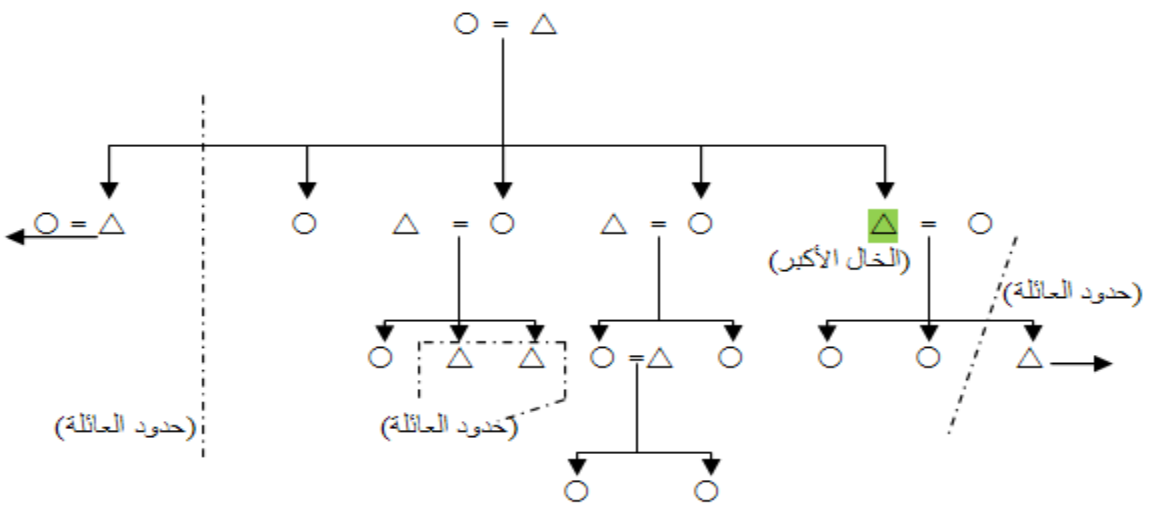

المصدر: محمد رياض، الإنسان

عائلة الخال الأكبر: قبيلة جاو Jao في منطقة نياسا بشرق إفريقيا. تتكون العائلة من الشقيقات المتزوجات وأبنائهن في مسكن كبير مع شقيقهن الأكبر وزوجته. أما أزواج الشقيقات فإنهم يأتون للزيارة بين الحين والآخر (انظر زواج الزيارة). والملاحظ أن الأزواج يرتبطون عاطفيا ببيت أخواتهن وليس بالبيت الذي يوجد فيه أبنائهم وزوجاتهم، ومن ثم فإن الأبناء يرتبطون عاطفيا بأمهاتهم وأخوالهم. ولهذا فإن مسؤولية تنشئة الأبناء تقع على عاتق الخال. ورئاسة العائلة بالطبع في يد الخال وتصبح زوجته رئيسة البيت أيضا. وبهذا فإننا نجد أنفسنا أمام تركيب أسري يجمع أسرة أحادية (أو متعددة الزوجات) عصبية المكان (أسرة الخال) وأسر أحادية رحمية المكان (الشقيقات وأبنائهن) مع زواج زيارة.

شكل رقم (08)

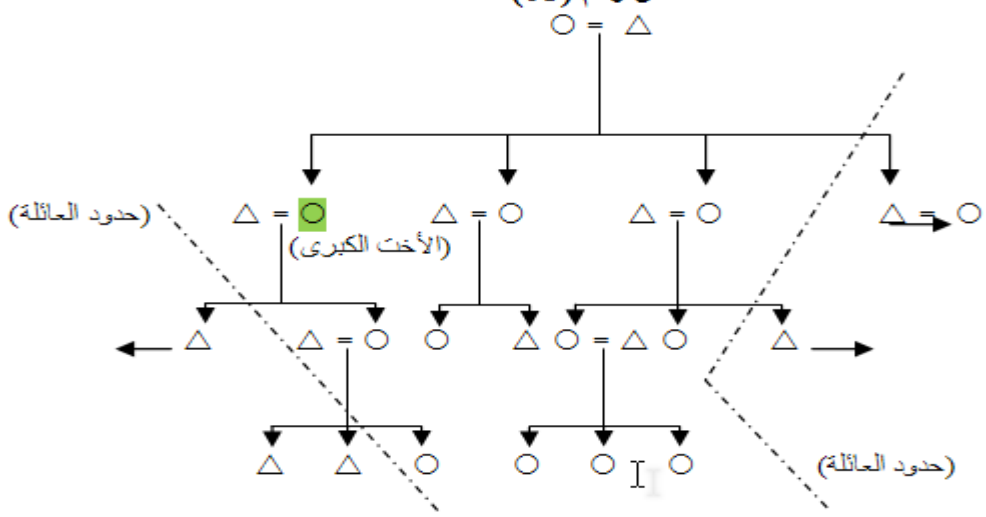

المصدر: محمد رياض، الإنسان

الأسرة المركبة الأموية: قبيلة الزوني Zuni من أمريند البويبلو في جنوب غرب الولايات المتحدة. زراع مستقرون، تتكون هذه الأسرة من مجموعة من الشقيقات وأزواجهن وأولادهن وأحفادهن. وهي أسرة أموية رحمية المكان، تكون وحدة اقتصادية تحت رئاسة "المعلمة" وهي إما الجدة أو الأخت الكبرى. يعد الأزواج غرباء عن الأسرة، وهم بدورهم يرتبطون عاطفيا ببيت أمهاتهم ويصبحون الآباء الاجتماعيين لأولاد شقيقاتهم (دور الخال)، لكنهم الآباء البيولوجيون لأبنائهم، لذلك يقيم مع زوجته ويعمل في حقل الأسرة الأموية.

شكل رقم (09)

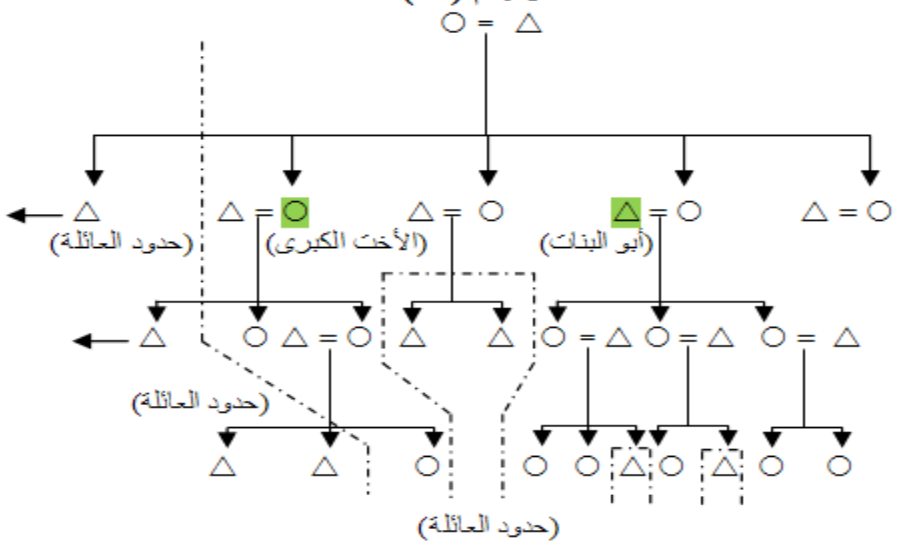

المصدر: محمد رياض، الإنسان

العائلة رحمية المكان: قبيلة الشايين Cheyenne من أمريند السهول في البراري الأمريكية الغربية. مجتمع صيد متنقل. تتكون العائلة من عدة شقيقات مع بناتهن المتزوجات وأزواجهن وأبنائهن غير المتزوجين. يختلف هذا النمط عن الأسرة الأموية عند الزوني في أن لكل أسرة أحادية خيمة مستقلة، وبذلك تتكون العائلة من مضرب خيام كبير أو صغير حسب عدد الأسر. تتميز خيمة (المعلمة) بأنها تحتوي على الموقد ومطبخ العائلة وبذلك ترتبط زعامة المعلمة بتقديم الغذاء فقط. أما رئاسة العائلة فتترك لأحد الأزواج بالرغم من أنه غريب عن المجموعة، لكنه يدخل إلى هذه الوظيفة باعتبار أنه أب للبنات. وبما أن نظام الزواج هنا يقتضي أن يخدم الزوج حماه فإن الرجل الذي ينجب عددا أكبر من البنات يصبح صاحب مركز اجتماعي أحسن داخل هذه العائلة (إذ سوف يكون له أصهار كثيرون). ومبدأ التنظيم في هذه العائلة يقوم على علاقة الأب بالبنت.

على هذا النحو تتعدد أشكال الأسر والعائلات في العالم وتتنوع تنوعا كبيرا، مما يجعلنا نؤكد مرة أخرى أن مجالات الاختيار الحضاري عند الإنسان

واسعة ومتنوعة، وتنفي فكرة أن نوعا واحدا فقط من أنواع الأسر أو علاقة واحدة من أنواع العلاقات بين الجنسين، هي القاعدة الغريزية أو الطبيعية عند الإنسان، وما عداه من الأنواع والأشكال شذوذ عن هذه القاعدة.

وبذلك فإن شكل الترابط بين الرجل والمرأة والأبناء خاضع للتغير والتطور والارتباط بالبناء الحضاري العام، والتركيبات الاجتماعية الاقتصادية بصفة خاصة، وهي التركيبات التي تعيد باستمرار صياغة وتشكيل حياة المجتمعات وتنظيماتها.